CC BY

بلاغة الصوت والكلمة والجملة في النص القرآني

– سورة الإخلاص أنموذجاً –

عمر خليل حمدون الهاشمي *

تأريخ التقديم: 2019/9/23 تأريخ القبول: 2019/10/20

المستخلص :

تميز القرآن الكريم بمسحة خلابة عجيبة تتجلى فى نظامه الصوتى ، وجماله اللغوى ، ويراد بنظام القرآن الكريم الصوتى ، اتساق القرآن الكريم ، وائتلافه فى حركاته وسكناته ، ومداته وغُنَّاته ، واتصالاته وسكناته ، اتساقا عجيبا ، وائتلافا رائعا ، يسترعى الإسماع ، ويستهوى النفوس ، بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أى كلام آخر من منظوم ومنثور ؛ لذا نجد البلاغيين اهتموا كثيراً بالصوت ومنذ المدونات الأولى لهذا العلم ، فقد ذكر الجاحظ(255هـ): انه لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه فلا يكون لفظه إلى سمعك اسبق من معناه إلى قلبك، وقد وظف القرآن الكريم –بما تميز به من رصف حروفه ، وترتيب كلماته ترتيبا يتضاءل دونه كل ترتيب ونظام تعاطاه الناس فى كلامهم –فذكر الخصائص الصوتية وسيلة للتأثير فى النفوس فاختار لكل مقام ما تستوجبه البلاغة فى التعبير عنه .

الكلمات المفتاحية : بلاغة؛ تفسير؛ دلالة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، أما بعد :

فلقد أفادت اللغة العربية من القران الكريم كثيراً ، فقد جمع مادتها وبين روعة بلاغتها ، كما احكم نحوها وصرفها واعرابها ، ثم إنه افادها فائدة عظيمة

* أستاذ مساعد/قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل .

وهي حفظ حياتها ونمائها وبقائها ، وذلك بحفظ كتابه العزيز {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: 9] ، وهو كتاب العربية الاول –إن جاز التعبير – فكان حفظه حفظاً لها .

وهذا الامر يجعلنا نتخذ من اللغة العربية وسيلة لفهم القران الكريم ؛ إذ بدونها يبقى مغلقاً عن الافهام ، ليس له حظ إلاّ تلاوة اللسان ، وهذا ليس هو المقصود من الإنزال ، قال تعالى : {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص: 29].

من هنا كانت انطلاقة بحثنا الموسوم بـــ (بلاغة الصوت والكلمة والجملة في النص القراني– سورة الإخلاص أنموذجاً –) للكتابة عن ثلاثة محاور مهمة جداً في بيان اعجاز النص القراني ، هي الصوت والكلمة والجملة.

ولعل الذي يمييز هذه الدراسة هو انها تدعو الى توسيع نطاق الدرس القرآني ليشمل هذه الجوانب مجتمعة لاظهار ما تميز به الكتاب العزيز .

وقد اقتضت الدراسة تقسيم البحث الى : تمهيد وثلاثة مطالب هي : المطلب الأول بلاغة الصوت ، المطلب الثاني بلاغة الكلمة ، المطلب الثالث بلاغة الجملة.

والله ولي التوفيق وهو من وراء القصد .

<u>التمهيد</u>

إن من أفضل ما نفتتح به بحثنا هذا هو الحديث عن سورة الاخلاص وما اشتملت عليه من فضائل وما تناولته من اغراض فضلاً عن الكلام عن مكان نزولها وعدد اياتها.

<u>أولاً : فضلها</u>

ورد في فضل سورة الاخلاص أحاديث متعددة، منها مارواه أبوسعيد الخدري ﷺ ، أن رجلا سمع رجلا يقرأ { قل هو الله أحد } ، يرددها فلما أصبح جاء إلى النبيﷺ فذكر

له ذلك وكأن الرجل يتقالها فقال رسول الله ﷺ:(والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن) [1].

قال الزركشي (ت794هـ) رحمه الله : ((لأن القرآن يشتمل على قصص وشرائع وصفات وقل هو الله أحد كلها صفات فكانت ثلثا))[2].

ثانيا : سبب نزولها

ورد في سبب نزولها عدة روايات منها:قول أبي بن كعب : أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، انسب لنا ربك ، فأنزل الله تبارك وتعالى : ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)))[3].

وهي السورة الثانية والعشرون في ترتيب النزول فهي سورة مكية ، ويرى بعضهم أنها مدنية، والأول أرجح، لأنها جمعت أصل التوحيد، وهذا المعنى غالب في السور المكية[4].

ثالثاً : عدد آياتها

وعدد آياتها((عند أهل العدد بالمدينة والكوفة والبصرة أربع، وعند أهل مكة والشام خمس باعتبار لم يلد آية ولم يولد آية))[5].

رابعاً : اسماؤها

---

(1) اخرجه البخاري في صحيحه من حديث ابي سعيد الخدري ﷺ ، كتاب فضائل القرآن ،باب فضل { قل هو الله أحد} ، رقم الحديث (4726) :4/ 1915 .

(2)البرهان في علوم القرآن, بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (794هـ) تحقيق: محمد ابي الفضل إبراهيم , دار إحياء الكتب العربية القاهرة ،1957 م:445/1.

(3)اخرجه الامام احمد في مسنده رقم الحديث (21257): 133/5 ،واخرجه الترمذي في سننه من حديث ابي بن كعب ﷺ ، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة الإخلاص، رقم الحديث (3364): 308/5.

(4) ينظر:التفسير الوسيط ،محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة،ط1،(د.ت):15/ 539.

(5) التحرير والتنوير ، ،محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور(ت1393هـ) ، دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – 1997 م : 30/ 612.

سورة الإخلاص من السور ذات الأسماء المتعددة، فقد ذكر لها الامام الرزاي (ت606هـ) رحمه الله في تفسيره عشرين اسماً، منها أنها تسمى سورة التفريد، والتجريد، والتوحيد، والنجاة، والولاية، والمعرفة، والصمد، والأساس، والمانعة، والبراءة ... ، وقال : ((اعلم أن كثرة الألقاب تدل على مزيد الفضيلة، والعرف يشهد لما ذكرناه))[1].

خامساً : أغراضها

اشتملت سورة الاخلاص على اغراض عدة ، هي [2]:

1-إثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى.

2-وأنه لا يقصد في الحوائج غيره.

3-وتنزيهه عن سمات المحدثات.

4-وإبطال أن يكون له ابن.

5-وإبطال أن يكون مولوداً.

6- إبطال أن يكون المولود إلها مثل عيسى عليه السلام.

المطلب الاول

بلاغة الصوت:

تميز القرآن الكريم بمسحة((خلابة عجيبة تتجلى في نظامه الصوتي ، وجماله اللغوي ، ويراد بنظام القرآن الكريم الصوتي ، اتساق القرآن الكريم ، وائتلافه في حركاته وسكناته ، ومداته وغُنَّاته ، واتصالاته وسكناته ، اتساقا عجيبا ، وائتلافا رائعا ، يسترعي الإسماع ، ويستهوي النفوس ، بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم ومنثور))[3] ؛ لذا نجد البلاغيين اهتموا كثيراً بالصوت ومنذ

(1) التحرير والتنوير:30/ 612.

(2) مفاتيح الغيب)،أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت 606هـ)،دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط3، 1420 هـ:32/ 358.

(3) مناهل العرفان، الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ، اعتنى بتصحيحه الشيخ امين سليم الكردي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان، ط2 ، د . ت: 205/2

المدونات الأولى لهذا العلم ، فقد ذكر الجاحظ(255هـ): انه ((لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه فلا يكون لفظه إلى سمعك اسبق من معناه إلى قلبك))[1]، وقد وظف القرآن الكريم –بما تميز به من ((رصف حروفه ، وترتيب كلماته ترتيبا يتضاءل دونه كل ترتيب ونظام تعاطاه الناس في كلامهم))[2] – فذكر الخصائص الصوتية وسيلة للتأثير في النفوس فاختار لكل مقام ما تستوجبه البلاغة في التعبير عنه من هذا المنطلق سيكون بحثنا عن بلاغة الصوت في سورة الاخلاص قائماً على محورين هما :

اولاً : بلاغة السورة من حيث صفات الحروف.

ثانياً : بلاغة السورة من حيث الفاصلة القرآنية.

اولاً : بلاغة السورة من حيث صفات الحروف.

إن لصفات الحروف دوراً مهماً في أداء المعنى ، هذا الامر يتجلى في صفتي الجهر والهمس ،والشدة والرخاوة في السورة الكريمة ،وقبل أن نذكر اثرهما في السورة الكريمة ، نبين معناهم في اللغة والاصطلاح ، الجهر لغةً مأخوذ جهر بالقول إذا رفع به صوته ، فهو جهير [3] ،واصطلاحاً : حرف أُشبع الإعتماد في موضعه ومنع النفس أنْ يجري معه حتى ينقضي الإعتماد عليه ، ويجري الصوت [4] .

أما الهمس لغةً فهو: الخفي من الصوت ، والهمس الكلام الخفي لا يكاد يفهم [5]، واصطلاحاً : حرف أُضعف الإعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه [6].

---

(1) البيان والتبيين, أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ (255هـ) تحقيق:عبد السلام هارون الطبعة الرابعة /1975م : 115/1 .

(2) المصدر نفسه :115/1.

(3) ينظر :لسان العرب، أبوالفضل جمال الدين محمدبن مكرم بن على ابن منظورالأنصاري (ت 711هـ)،دار صادر – بيروت ،ط3، 1414 هـ : 5 /220 مادة (جهر).

(4) ينظر :الكتاب،أبوبشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت180هـ) ،تحقيق :عبدالسلام هارون، القاهرة،ط1427،3هـ-2006م: 2 / 405.

(5) لسان العرب: 137./8 مادة (همس)

(6) الكتاب 2 /405 .

وقد ذكر ابن دريد الأزدي(ت 319هـ) سبب هذه التسمية (الجهر والهمس) فقال : ((وإنَّما سمّيت مهموسة ؛ لأنَّه اتسع لها المخرج فخرجت كأنَّها متفشية ... وسمّيت مجهورة ؛ لأنَّ مخرجها لم يتسع فلم تسمع لها صوتاً)) [1].

والأصوات المجهورة هي : (الظاء ، واللام ، والقاف ، والياء ، والدال ، والباء ، والطاء ، والعين ، والميم ، والراء ، والزاي ، والضاد ، والألف ، والواو ، والهمزة ، والذال ، والنون ، والغين ، والجيم) [2] ، والأصوات المهموسة هي : (الفاء ، والحاء ، والثاء ، والهاء ، والشين ، والخاء ، والصاد ، والسين ، والكاف ، والتاء) [3].

اما الشدة لغةً : فهي الصلابة [4] ، واصطلاحاً : هو الذي يمنع الصوت أنْ يجري فيه [5] ، والرخاوة لغةً : الهش [6] ، واصطلاحاً : هي التي يجري فيها الصوت [7] ، وذكر بعض العلماء أنَّ سبب تسمية الأصوات الشديدة هو : " لمنعها

---

(1) جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد الأزدي (ت 321 هـ) – مطبعة دائرة المعارف – حيدر أباد الدكن – 1344 هـ:1 / 8 .

(2) ينظر : الحواشي المفهمة في شرح المقدمة ، الجزري : شهاب الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن محمد بن الجزري (ت بعد 829 هـ) ، (د.ط)،(د.ت): 12 ، وشرح طيبة النشر النشر في القراءات العشر ،ابن الجزري (ت833هـ) ، ضبطه وراجعه صاحب الفضيلة الشيخ علي محمد الضباع – مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – ط1 – 1950 م: 31 ، وذكر احمد بن محمد الجزري أن هذه الحروف تسعة عشر حرفاً يجمعها هجاء قولك : (ظل قبـد يطعم رزضا و إذ نغج) . ينظر : الحواشي المفهمة 12 ، وشرح طيبة النشر 31 .

(3) ينظر : الحواشي المفهمة 12 ، وشرح طيبة النشر 31 ، وذكر احمد بن محمد الجزري أيضاً أنْ هذه الأصوات يجمعها هجاء قولك :(فحثه شخص سكت) . ينظر : الحواشي المفهمة 12 ، وشرح طيبة النشر31.

(4) لسان العرب: 4/ 218 .مادة (شدد) .

(5) الكتاب 2/ 406 .

(6) لسان العرب :19 / 28 مادة (رخو).

(7) ينظر : الكتاب 2/ 406 .

الصوت أنْ يجري معها ؛ لأنَّها قويت في مواضعها فلزمتها " [1] ، وأما الأصوات الرخوة فقد: " جرى النفس والصوت معها حتى لانت عند النطق بها ، فضعف الاعتماد عليها " [2] . والأصوات الرخوة ستة عشر صوتاً هي : (الخاء ، السين ، الحاء ، الظاء ، الشين ، الصاد ، الهاء ، الزاي ، الواو ، الضاد ، الغين ، الثاء ، الياء ، الالف ، الفاء ، الذال)) [3] .

وقد اشتملت السورة الكريمة على حروف الجهر كما اشتلمت على حروف الشدة ،وتكمن البلاغة القرانية في أن ((احتواء السورة على احد عشر صوتاً مهموساً فقط ، واستحواذ المجهورة على اكثر من ضعف عدد المهموسة ،يتناسب ومسألة الجهر بالتوحيد التي تقتضي المجاهرة وعلو النبرة ، يعزز ذلك أنها ابتدأت بـــ (قل) أي ذلك واجهر به)) [4].

أما فيما يخص حروف الشدة التي كانت أيضاً أكثر من حروف الرخوة فإن هذا يتناسب مع جو السورة التي نزلت رداً على قول المشركين للنبي ﷺ : انسب لنا ربك .

والذي يستوقفنا في هذه الجزئية من البحث ، هو ابتدأ السورة الكريمة بصوت القاف (قل) ، الذي هو صوت جهوري شديد ، وهو الذي يتناسب مع جو السورة التي جاءت

ثانياً : بلاغة السورة من حيث الفاصلة القرانية.

لقد أسهمت الفاصلة القرآنية بشكل فعال في أعجاز القرآن الكريم ، وذلك من خلال التناسق الصوتي واللغوي الذي تناغمت به مع الآيات إذ ((تقوم الفاصلة القرآنية

---

(1) الحواشي المفهمة: 13 .

(2)الحواشي المفهمة: 13 .

(3) ينظر الحواشي المفهمة: 13 ، وشرح طيبة النشر ، وذكر احمد بن محمد الجزري ان هذه الأصوات يجمعها هجاء قولك : (خس حظ شص هز وضغث يافث) ، ينظر : الحواشي المفهمة: 13 .

(4) بنية السورة القرانية الواحدة في جزء (عمّ يتسألون) برواية حفص عن عاصم دراسة صوتية، صوتية، عزة عدنان احمد عرب :307 .

بدور الإحكام ، فتربط بالمعنى الكلي الذي يسبقها في الآية ذلك إضافة التي ترنمها الموسيقي الواضح فهذا الأحكام يتسم بوظيفتين في الشكل والمضمون))[1] .

إذ تمثل الفاصلة جزءاً مهماً في الكشف عن المعنى في السياق القرآني[2] ؛لانها وثيقة الصلة بالمعنى ، والمعنى هو المراد ، مع ما توافرت فيها من الخصائص الصوتية التي تنشا منها ظاهرة التوافق الموسيقي بين فواصل الآية ، وبذلك يصعب تحريك فاصلة من الفواصل ووضع غيرها مكانها أو تبديلها بغيرها، وهذا هو سر إعجازها ، فكانت بمثابة السور المنيع والحصين لحفظ القرآن الكريم[3] .

والفاصلة القرآنية تأتي لمقاصد بلاغية في ختام الآيات حاملة تمام المعنى ، وتمام التوافق الصوتي فهي لم تأت لغرض لفظي فحسب ، أوهو اتفاق رؤوس الآي بعضها مع بعض وهو ما يعبرون عنه بعبارة (رعاية الفواصل) أو (مراعاة رؤوس الآي)[4]، بل أتت ممكّنة للمعنى المسوق له الكلام ، ومؤكدة للغرض المقصود من الآية ، فقد جاءت ممكنة في مكانها ، مستقرة في موضعها ، مطمئنة في قرارها ، غير نافرة ولا قلقة ، متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما ، بحيث لو طرحت جانبا أحس صاحب الذوق السليم ، والفطرة الطيبة ، إن الكلام مفتقر إليها.

والقرآن يختار الفاصلة بدقة عجيبة تدل على إعجاز بياني ،فيبرز الاعجاز من جهتين ، من جهة الدلالة التي تتوافق مع مضمون الآية ، ومن جهة الصوت الذي يتوافق مع الإيقاع العام للآيات السابقة واللاحقة ، حتى أن السامع إذا كان ذا نظر ثاقب بفن الكلام وسمع الفاصلة أدرك موقعها من الكلام كما رووا عن زيد بن ثابت(ﷺ) انه قال: أملى علي رسول الله (ﷺ) هذه الآية {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ

(1) جماليات المفردة القرآنية، د. احمد ياسوف ، اشراف وتقديم : د. نور الدين عتر دار المكتبي ، سورية – دمشق ، ط2 (1419هـ – 1999م): 309

(2) ينظر :موسيقى الشعر، الدكتور إبراهيم انيس , مكتبة الانجلو المصرية / 1978 م : 236

(3) ينظر: مكانة الفواصل من الاعجاز في القران الكريم: محمد رجاء حنفي،مجلة الدارة ع(3) سنة(15)(1990م): 19

(4) إتقان البرهان في علوم القرآن ، فضل عباس : 119/1 .

(12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14)} [المؤمنون: 12 – 14] ،فقال معاذ بن جبل : (فتبارك الله أحسن الخالقين) فضحك رسول الله(ﷺ) فقال له معاذ : مم ضحكت يا رسول الله ؟ قال : بها ختمت[1] .

وكما استدل العربي الفصيح على الفاصلة بالفطرة فأبى أن يقع غيرها مكانها ، فقد حكي أن أعرابيا سمع قارئا يقرأ ((فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ)) البقرة: ٢٠٩ غفور رحيم ، ولم يكن يقرأ القرآن ، فقال : إن كان هذا كلام الله فلا ، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه ، والآية إنما ختمت بقوله((فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)) البقرة: ٢٠٩ وعليه فصاحب الذوق السليم يأبى قبول الفاصلة ، ولا يطمئن إليها إذا أبدل سواها[2] .

وقد قسم البلاغيون الفاصلة الى اقسام كثيرة منها [3] :

1- فواصل متماثلة (متوازية) : وهي اتفاق أواخر الآيات في الوزن والحرف الأخير منها ، ومن ذلك قوله تعالى: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3)} [النجم: 1 – 3].

2- فواصل متقاربة (متوازنة) : وهي اتفاق أواخر الآيات في الوزن دون الحرف الأخير ، ومن ذلك قوله تعالى : {وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (117) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (118)} [الصافات: 117، 118]

3- فواصل مطرفة : وهي اتفاق أواخر الآيات في الحرف الأخير دون الوزن ، ومن ذلك قوله تعالى : {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (1) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (2) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (3)} [القمر: 1 – 3].

---

(1) الإتقان : 101/2 ، وينظر : الفاصلة القرآنية سليمان عليوات،المجلة الثقافية،ع24(1991م): 44

(2) الفاصلة القرآنية : 47،و ينظر : الفاصلة في القرآن الكريم : 135

(3) ينظر : البرهان : 75/1 ، مكانة الفواصل من الإعجاز في القرآن :9، معجم علوم القرآن : 209-208

4- فواصل مرسلة (منفردة) وهي عدم اتفاق أواخر الآيات لا في الوزن ولا في الحرف الأخير ، فقد تأتي السورة على نسق معين ، وتأتي فيها آية لها فاصلة مختلفة منفردة ، كما في قوله تعالى : ((وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)) الضحى: ١١ ، فانتهت هذه الفاصلة بحرف (الثاء) ولا توجد فاصلة بهذا الحرف غير هذه الآية في هذه السورة .

والفاصلة التي وردت في السورة الكريمة هي من نوع الفاصلة المطرفة،وتكمن بلاغة تكرار الدال في الفواصل القرانية الاربعة أنها اعطت جرساً موسيقياً داخلياً تحكمه ((قيم صوتية أرحب من الوزن والنظم المجردين ؛ لانّ صوت الدال يجسد العزم والقوة والحزم ، فهو صوت انفجاري شديد ناسب المعاني المتوخاة منه في الرد العنيف على دعوات الشرك ، وتكرار كلمة (أحد) يجسد فكرة التوحيد منذ المبدأ حتى المنتهى بدأت بـــ (أحد)وانتهت بكلمة (أحد))) [1].

هذا فضلاً عمّا افادته اتحاد الفاصلة من تماسك مع ماقبلها من الكلام بحيث تنحدر مع الاسماع انحداراً ، وكأن ما سبق لم يكن إلاّ تمهيداً لها بحيث لو حذفت لاختل معنى الكلام [2].

المطلب الثاني

بلاغة الكلمة

أهتم البلاغيون كثيراً بالكلمة لانها الجزء الاساس الذي تتكون منه الجملة ، لذا نجدهم وضعوا شروطاً لفصاحة الكلمة متى ما اختل شرط من هذه الشروط عُدّ الكلام غير فصيح ، ومن ثمَّ غير بليغ ، ومن هذه الشروط أن ((تَخْلُو من أربعة عيوب وهي: التنافر، والغرابة، ومُخَالفة القياس، وكراهة السَّمع لها)) [3]، ولن نتطرق لشرح هذه الشروط لان كتب البلاغة تكفلت ببيانها وايضاحها ، والذي يهمنا

(1) بنية السورة القرانية الواحدة في جزء (عمّ يتسألون) برواية حفص عن عاصم دراسة صوتية:307 .

(2)ينظر:علم البديع ،د. بسيوني عبدالفاح فيود : 260.

(3) البلاغة العربية ، حبنكه :1/ 111.

هو أن الكلمات القرآنية نالت اعلى درجات الكمال اللغوي في التعبير ، وسنقف على بلاغة بعض الكلمات في السورة الكريمة، هي :

1-أحد : وردت كلمة (أحد) في السورة الكريمة في موضعيين ، هما {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: 1] و {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} ،لكن لكل واحدة منهما معنى فالاولى منهما جاءت بمعنى ((الواحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، وفي كل شأن من شؤونه، فهو منزه عن التركيب من جواهر متعددة، أو من مادة معينة، كما أنه- عز وجل- منزه عن الجسمية والتحيز، ومشابهة غيره))[1] ، أما الثانية فجاءت بمعنى إنسان أو موجود، فحصل بين اللفظين جناس تام [2].

ويلحظ أن ثمة فرقاً بين الواحد والاحد فـ ((الواحد يستعمل في الإثبات والأحد في النفي، تقول في الإثبات رأيت رجلا واحدا وتقول في النفي: ما رأيت أحدا فيفيد العموم)) [3].

2- الصَّمَد :هو الذي يصمد إليه الخلق في حوائجهم، ويقصدونه وحده بالسؤال والطلب ... مأخوذ من قولهم صمد فلان إلى فلان. بمعنى توجه إليه بطلب العون والمساعدة[4].

وهذه الصيغة على وزن (فعل) وتحتمل أن تكون بمعنى مفعول قال الزمخشري (ت538هـ) رحمه الله : ((والصَّمَدُ فعل بمعنى مفعول، من صمد إليه إذا قصده، وهو السيد المصمود إليه في الحوائج)) [5] ، والمعنى: ((هو الله الذي تعرفونه وتقرون بأنه خالق السموات والأرض، وخالقكم، وهو واحد متوحد بالإلهية لا يشارك فيها، وهو الذي يصمد إليه كل مخلوق لا يستغنون عنه، وهو الغنى عنهم ...)) [6].

---

(1)التفسير الوسيط :15/ 540.

(2)ينظر:التحرير والتنوير :30/ 620.

(3) مفاتيح الغيب :32/ 360.

(4) التفسير الوسيط :15/ 540.

(5)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (المتوفى: 538هـ)،دار الكتاب العربي – بيروت ،ط3، 1407 هـ:4/ 818.

(6)التفسير الوسيط لطنطاوي (15/ 541).

3- الكفؤ: هو المكافئ والمماثل والمشابه لغيره في العمل أو في القدرة، أى: ولم يكن أحد من خلقه مكافئا ولا مشاكلا ولا مناظرا له- تعالى- في ذاته، أو صفاته، أو أفعاله، فهو كما قال- تعالى-: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرِ} [الشورى: 11] [(1)].

المطلب الثالث

بلاغة الجملة

أولى البلاغيون اهتماما كبيراً بالجملة ، بل كانت هي الاساس في دراستهم ، فقد عرفوا البلاغة بانها مطابقة الكلام لمقتضى الحال التي يورد فيها مع فصاحته[(2)]، والكلام عبارة عن جمل متتابعة، والقاريء لكتب البلاغة وعلم المعاني منها تحديداً يجد انها قائمة على مباحث الجملة ؛ لذا فلاعجب ان مبحث بلاغة الجملة يشكل جزءاً اساساً في منظومة البيان العربي عند تناوله ايّ نص بالتحليل .

بل إن بلاغة الكلمة التي تحدثنا عنها في المطلب السابق متوقفة على الجملة التي ترد فيه ، فمع ((أن للكلمة إشراقًا خاصًّا، فكل كلمة لها إشعاع فكري، ولكنها لا يبدو منها ذلك الإشعاع والبلاغة البيانية إلا مع أخت لها تناسبها، وتتلاقى فكريًّا معها)) [(3)]، وقد اشتملت سورة الاخلاص على سبع جمل ، توزعت بين الفعلية والاسمية ، وهي [(4)]:

1-جملة: «قل ... » جملة فعلية لا محلّ لها ابتدائيّة.

2-جملة: «هو الله أحد ... » جملة اسمية في محلّ نصب مقول القول.

3-جملة: «الله أحد ... » جملة اسمية في محلّ رفع خبر المبتدأ هو.

---

(1)التفسير الوسيط لطنطاوي (15/ 541).

(2) ينظر :علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، ، احمد مصطفى المراغي ، المكتبة العصرية،(د.ط)،1426هـ-2005م : 35.

(3) المعجزة الكبرى القرآن، ،محمد أبو زهرة , دار الفكر العربي القاهرة /1970 م : 91.

(4) ينظر: الجدول في إعراب القرآن محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: 1376هـ)، دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت،الطبعة: الرابعة، 1418 هـ:30/ 425.

4-جملة: «الله الصمد ... » جملة اسمية في محلّ رفع خبر ثان للمبتدأ هو.

5-جملة: «لم يلد ... » جملة فعلية في محلّ رفع خبر ثالث للمبتدأ هو.

6-جملة: «لم يولد ... » جملة فعلية في محلّ رفع معطوفة على جملة لم يلد.

7-جملة: «لم يكن له كفوا أحد» جملة فعلية في محلّ رفع معطوفة على جملة لم يلد.

فالسورة الكريمة افتتحت بالجملة الفعلية وبفعل الأمر ((لإظهار العناية بما بعد هذا الأمر من توجيهات حكيمة، ولتلقينه صلى الله عليه وسلم الرد على المشركين الذين سألوه أن ينسب لهم ربه)) [1].

أما الجملة الاسمية: «هو الله أحد ... » فافتتحت بضمير الشأن (هو) الواقع مبتدأ للإشارة إلى فخامة مضمون الجملة، مع زيادة التحقيق والتقرير، لأن الضمير يشير إلى شيء مبهم تترقبه النفس، فإذا جاء الكلام من بعده زال الإبهام، وتمكن الكلام من النفس فضل تمكن[2] .

وجاء الخبر نكرة وهو لفظ «أحد» ((لأن المقصود الإخبار عن الله- تعالى- بأنه واحد، ولو قيل: الله الأحد، لأفاد أنه لا واحد سواه، وليس هذا المعنى مقصودا هنا، وإنما المقصود إثبات أنه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله ... ونفى ما زعمه المشركون وغيرهم، من أنه- تعالى- مركب من أصول مادية أو غير مادية، أو من أنه له شريك في ملكه)) [3].

والجملة الاسمية الثانية في السورة الكريمة: «الله الصمد » فقد ((جاء لفظ «الصمد» محلى بـــ (أل)، لإفادة الحصر في الواقع ونفس الأمر، فإن قصد الخلق إليه- سبحانه- في الحوائج، أعم من القصد الإرادى، والقصد الطبيعي، والقصد بحسب الاستعداد الأصلى، الثابت لجميع المخلوقات إذ الكل متجه إليه- تعالى- طوعا وكرها))[4].

---

(1)التفسير الوسيط لطنطاوي :15/ 541 ، وينظر : التحرير والتنوير :30/ 612 .

(2) ينظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،أبو السعود:9/ 212 ، وينظر : التفسير الوسيط ،15/ 540 .

(3)التفسير الوسيط:15/ 540 .

(4)المصدر نفسه:15/ 541 .

والقصر الذي افاده تعريف (الصمد) في الاية الكريمة من نوع قصر قلب لان فيه إبطالاً لما تعوده أهل الشرك في الجاهلية من دعائهم أصنامهم في حوائجهم والفزع إليها في نوائبهم حتى نسوا الله[1].

وجاءت جملة((الله الصمد)) مفصولة ولم توصل مع قبلها بحرف من حروف العطف ((لأن هذه الجملة مسوقة لتلقين السامعين فكانت جديرة بأن تكون كل جملة مستقلة بذاتها غير ملحقة بالتي قبلها بالعطف، على طريقة إلقاء المسائل على المتعلم نحو أن يقول: الحوز شرط صحة الحبس، الحوز لا يتم إلا بالمعاينة، ونحو قولك: عنترة من فحول الشعراء، عنترة من أبطال الفرسان،ولهذا الاعتبار وقع إظهار اسم الجلالة في قوله: الله الصمد وكان مقتضى الظاهر أن يقال: هو الصمد)) [2].

وتكرير لفظ الجلالة (الله) في الآية الكريمة للإشعار بأن من لم يتصف بالصمدية لم يستحق الألوهية[3].

ثم جاءت الجمل الفعلية الثلاث لتنزه الحق سبحانه وتعالى عن أن يكون والدا أو مولودا كما نفت عن نفسه الأنداد والأشباه ، فقوله تعالى : ((لَمْ يَلِد)) جاءت لتنزيه الحق سبحانه وتعالى ((أن يكون له ولد أو بنت، لأن الولادة تقتضي انفصال مادة منه، وذلك يقتضى التركيب المنافى للأحدية والصمدية، أو لأن الولد من جنس أبيه، وهو– تعالى– منزه عن مجانسة أحد)) [4].

ومن حيث الاعراب نجد ان قوله تعالى : ((لَمْ يَلِد)) تحتمل ان تكون خبراً ثانياً عن اسم الجلالة من قوله: الله الصمد، أو حالاً من المبتدأ أو بدل اشتمال من جملة الله الصمد ، وهذه الاوجه الاعرابية لها اثرها في المعنى ؛((لأن من يصمد

(1) ينظر:التحرير والتنوير: 30/ 618.

(2)المصدر نفسه:30/ 617 .

(3) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)،تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط1، 1418 هـ : 5/ 347.

(4) التفسير الوسيط :15/ 541 .

إليه لا يكون من حاله أن يلد لأن طلب الولد لقصد الاستعانة به في إقامة شؤون الوالد وتدارك عجزه، ولذلك استدل على إبطال قولهم: اتخذ الله ولدا بإثبات أنه الغني في قوله تعالى: { قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [يونس: 68] ،فبعد أن أبطلت الآية الأولى من هذه السورة تعدد الإله بالأصالة والاستقلال، أبطلت هذه الآية تعدد الإله بطريق تولد إله عن إله، لأن المتولد مساو لما تولد عنه.)) [1].

وقوله: (وَلَمْ يُولَدْ)) جاءت تنزيهاً ((له- تعالى- عن أن يكون له أب أو أم، لأن المولودية تقتضي- أيضا- التركيب المنافى للأحدية والصمدية، أو لاقتضائها سبق العدم، أو المجانسة، وكل ذلك مستحيل عليه- تعالى- فهو- سبحانه-: الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْباطِنُ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))[2].

وجملة (لم يولد) جاءت معطوفة على جملة (لم يلد)، أي ولم يلده غيره ، وفيها فن من فنون الاطناب وهو فن (الاحتراس) فقد جاءت سدا لتجويز أن يكون له والد، فأردف نفي الولد بنفي الوالد[3].

وثمة ملحظ بلاغي في قوله تعالى : {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} ، وهو التقديم والتاخير فقد قدم نفي الولد في الاية الكريمةلأنه أهم إذ قد نسب أهل الضلالة الولد إلى الله تعالى ولم ينسبوا إلى الله والدا[4].

كما أن في قوله تعالى : {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} فناً من فنون البيان العربي وقسم من اقسام اسلوب الكناية وهو الايماء ، فقد أومأت الاية الكريمة ((إلى أن من يكون مولودا مثل عيسى لا يكون إلها لأنه لو كان الإله مولودا لكان وجوده مسبوقا بعدم لا محالة، وذلك محال لأنه لو كان مسبوقا بعدم لكان مفتقرا إلى من يخصصه بالوجود بعد العدم، فحصل من مجموع جملة: لم يلد ولم يولد إبطال أن يكون الله والدا

(1) التحرير والتنوير:30/ 618 .
(2) التفسير الوسيط :15/ 541 .
(3) التحرير والتنوير:30/ 618 .
(4) ينظر :المصدر نفسه:30/ 618 .

لمولود، أو مولودا من والد بالصراحة. وبطلت إلهية كل مولود بطريق الكناية فبطلت العقائد المبنية على تولد الإله)) [1].

وللزمن كذلك حضوره في الاية الكريمة ،فقد حولت اداة النفي (لم) الدلالة الزمنية للفعل المضارع من الحال والاستقبال الى المضي فالنفي في قوله تعالى : { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} أفاد نفي أن يكون الله سبحانه وتعالى والدا وأن يكون مولودا في الزمن الماضي، وذلك لأن عقيدة التولد ادعت وقوع ذلك في زمن مضى، ولم يدع أحد أن الله سيتخذ ولدا في المستقبل[2].

ثم ختمت السورة الكريمة بقوله تعالى : ((وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ)) تنزيهاً ((له- تعالى- عن الشبيه والنظير والمماثل)) [3].

وهذه الجملة ((في معنى التذييل للجمل التي قبلها لأنها أعم من مضمونها لأن تلك الصفات المتقدمة صريحها وكنايتها وضمنيها لا يشبهه فيها غيره، مع إفادة هذه انتفاء شبيه له فيما عداها))[4].

وقد نبه الزمخشري –رحمه الله- الى بلاغة التقديم والتأخير في الاية الكريمة فساغها بطريقة الفنقلة فقال : ((فإن قلت: الكلام العربي الفصيح أن يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم، وقد نص سيبويه على ذلك في كتابه ، فما باله مقدّما في أفصح كلام وأعربه؟ قلت هذا الكلام إنما سيق لنفى المكافأة عن ذات الباري سبحانه، وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف، فكان لذلك أهم شيء وأعناه، وأحقه بالتقدم وأحراه)) [5].

---

(1) ينظر :التحرير والتنوير :30/ 618 .

(2) ينظر: مفاتيح الغيب :32/ 363، أنوار التنزيل وأسرار التأويل :5/ 347 ، التحرير والتنوير:30/ 619 .

(3)التحرير والتنوير:30/ 619 .

(4)المصدر نفسه:30/ 619 .

(5)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل :4/ 818.

وقد أضاف ابن عاشور (ت 1393هـ) رحمه الله على كلام الزمخشري أنه فضلا الاهتمام باستحقاق الله نفي كفاءة أحد له جاء التقديم لرعاية الفاصلة[1].

الخاتمة:

بعد هذا التطّواف الممتع في كتاب الله عزوجل نقف عند الخاتمة لنحصد أهم النتائج التي يمكن ان نجملها بالآتي :

- اشتملت سورة الاخلاص حروف الشدة التي كانت أيضاً أكثر من حروف الرخوة وهذا يتناسب مع جو السورة التي نزلت رداً على قول المشركين للنبي ﷺ : انسب لنا ربك .

– الفاصلة التي وردت في السورة الكريمة هي من نوع الفاصلة المطرفة،وتكمن بلاغة تكرار الدال في الفواصل القرانية الاربعة أنها اعطت جرساً موسيقياً داخلياً.

–وردت كلمة (أحد) في السورة الكريمة في موضعيين ، لكن لكل واحدة منهما معنى فالاولى منهما جاءت بمعنى الواحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، وفي كل شأن من شئونه، ، أما الثانية فجاءت بمعنى إنسان أو موجود، فحصل بين اللفظين جناس تام.

–هناك فرق بين الواحد والاحد ، الواحد يستعمل في الإثبات والأحد في النفي، تقول في الإثبات رأيت رجلا واحدا وتقول في النفي: ما رأيت أحدا فيفيد العموم.

–الصَّمَدُ فعل بمعنى مفعول، من صمد إليه إذا قصده، وهو السيد المصمود إليه في الحوائج

–الكفؤ :هو المكافئ والمماثل والمشابه لغيره في العمل أو في القدرة.

–اشتملت سورة الاخلاص على سبع جمل ، توزعت بين الفعلية والاسمية.

(1)ينظر: التحرير والتنوير: 30/ 619 .

References

1. Abu Abdullah Al-Razi. **Mafateeh Al-Ghaib.** Beirut: Dar Ihiya Al-turath Al-arabi.
2. Abu Al-Fadhil Jamal Al-Dein Al-Ansari (1414 H). **Lisan Al-Arab.** Beirut: Dar Sader.
3. Abu Al-Qasim JarAllah Mahmood Al-Zamakhshari (1407 H). **Al-Kashshaf fi Haqa'iq Ghawamidh Al-Tanzeel.** Beirut: Dar Al-kitab Al-arabi.
4. Abu Al-Su'ood Al-Imadi. **Irshad Al-Aql Al-Saleem ila Mazaya Al-Kitab Al-Kareem.** Beirut: Dar Ihiya Al-turath Al-arabi.
5. Abu Bakr Muhammed Al-Azdi (1344 H). **Jamharat Al-Lugha.** Haidar Abad: Dar Al-ma'arif publishing.
6. Abu Bishr Amr Bin Othman. **Al-Kitab.** Edited by Abdulsalam Haroun (2006). Cairo.
7. Abu Othman Omar Bin Bahr Al-Hafidh. **Al-Bayan wa Al-Tabiyyn.** Edited by Abdulsalam Haroun (1975). 4th ed.
8. Ahmad Mustafa Al-Maraghi (2005). **Sciences of Eloquence: Revelation, Meanings, and Rhetoric.** Al-asriya library.
9. Ahmad Yasouf. **Jamaliyat Al-Mufrada Al-Qur'aniya.** Supeevised and introduced by Dr. Nour Al-Dein Atar (1999). Damascus: Dar Al-maktabi.
10. Badr Al-Dein Muhammed Al-Zarkashi (1957). **Al-Burhan fi Uloum Al-Qur'an.** Cairo: Dar Ihyia' Al-kotob Al-arabia.
11. Fadhil Abbas. **Itqan Al-Burhan fi Uloum Al-Qur'an.**
12. Ibraheem Anees (1978). **Musiqa Al-Shi'r.** Cairo: Al-anglo Al-masriya library.
13. Mahmood Bin Abdulrahman Safi (1418 H). **Al-Jadwal fi I'rab Al-Qur'an.** Damascus: Dar Al-rasheed.
14. Muhammed Abdul'adheem Al-Zarqani. **Manahil Al-Irfan.** Beirut: Dar Ihiya Al-turath Al-arabi.
15. Muhammed Abu Zahra (1970). **Al-Mu'jiza Al-Kubra: Al-Qur'an.** Cairo: Dar Al-fikr Al-arabi.

16. Muhammed Al-Tahir Bin ‘Ashour (1997). **Al-Tahreer wa Al-Tanweer.** Tunis: Dar Sahnoun.
17. Muhammed Raja’ Hanafi (1990). **Makanat Al-Fawasil min Al-I’jaz fi Al-Qur’an Al-Kareem.** Al-dara journal. Vol. 3.
18. Nasir Al-Dein Abu Sa’eed Al-Baidhawi. **Anwar Al-Tanzeel wa Asrar Al-Ta’weel.** Edited by Muhammed Abdulrahman Al-Mir’ishly (1418 H). Beirut: Dar Ihiya Al-turath Al-arabi.
19. Saeed Tantawi. **Al-Tafseer Al-Waseet.** Cairo: Dar Nahdhat Masr.
20. Shihab Al-Dein Al-Jazri. **Al-Hawashi Al-Mufhama fi Sharh Al-Muqaddima wa Sharh Teebat Al-Nashr fi Al-Qira’at Al-Ashr.** Edited by Al-Shaikh Ali Al-Dhabba’. Mustafa Al-Halaby library and publishing.
21. Sulaiman Ilewat (1991). **Al-Fasila Al-Qur’aniya.** Al-thaqafiya journal. Vol. 24.

Rhetoriceal Features of Phonemes/Words/Sentence in Quranic Texts AL-Ikhlas Sura (verse)as an example

Assist.Lect.**DR.OMAR KHALIL HAMDOON AL-HASHIMI***

Abstract

Arabic language tilized a lot of from Quran.Quran gathered material asnd rhetorics.It mastered also its grammar Sarf and Functions.Ths came the idea of our research Rhetorical features of phonemes(sounds)/words and sentences in Quranic texts/Al.Ikhlas verse(sura) as an axample.The research talks abot three fields in the superiocity of Quranic verse sound /word and sentence.The research falls into an introduction and three parts the first about sounds/the second for word and the third is for sentence.

Key words: Rhetoric؛ Interpretation؛ significance

***Assist.Prof./ Department of Quran Sciences and Islamic Education/ College of Education for Human Sciences/ University of Mosul**